مجلة إكليل للدراسات الانسانية
التصنيف الورقي: العدد 25 /آذار/2026
المجلد(7)- العدد(1)-الجزء(3) IASJ–Iraqi Academic Scientific Journals

مقال مراجعة موضوع

خواتيم القصيدة الأندلسية في عصر الطوائف: قراءة فنية في البنية والدلالة

م.م. شيماء عبد الباقي
كلية التربية للبنات–جامعة الانبار

الكلمات المفتاحية: القصيدة الأندلسية، عصر الطوائف، البناء الفني، الدلالة الجمالية

الملخص:

يتناول النص أحد العناصر البنائية الجوهرية في القصيدة العربية ودوره في إحكام البناء الفني. ويُبرز أهمية هذا العنصر في تتويج المعنى وتكثيف الأثر الجمالي في ذهن المتلقي. و يشير إلى اهتمام النقاد القدماء والمحدثين بمواضع البداية والنهاية في تقويم جودة النص الشعري. ويعرض الشعر الأندلسي بوصفه تجربة فنية متميزة طوّرت البنية الشعرية ومنحتها خصوصية واضحة. ويتوقف عند عصر الطوائف باعتباره مرحلة اتسمت بالانقسام السياسي والازدهار الثقافي والأدبي. و يعكس الشعر في هذه المرحلة تحولات نفسية وجمالية عبر لغة مكثفة وإيقاع مؤثر.

المقدمة:

تُعَدّ الخاتمة أحد المكونات البنائية الأساسية في القصيدة العربية، إذ تمثل لحظة التتويج الفني والدلالي للنص الشعري، وتكشف عن قدرة الشاعر على إحكام البناء، وتوجيه الأثر الجمالي في ذهن المتلقي. وقد أولى النقاد القدامى والمحدثون عناية خاصة لمواضع الابتداء والاختتام، لما لهما من أثر في تقويم جودة النص، وقياس تماسكه الفني. وفي هذا السياق، تبرز القصيدة الأندلسية بوصفها نموذجًا شعريًا متميزًا، استطاع أن يطوّر بنية الخاتمة، ويمنحها طابعًا فنيًا خاصًا، متأثرًا بالتحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي عرفتها الأندلس، ولا سيما في عصر الطوائف.

ويُعدّ عصر الطوائف من أكثر العصور الأندلسية ثراءً وتنوعًا على مستوى التجربة الشعرية، إذ شهد انقسامًا سياسيًا قابله ازدهار ثقافي وأدبي ملحوظ، انعكس بوضوح في بنية القصيدة ومضامينها. ولم تكن الخاتمة في هذا العصر عنصرًا شكليًا تابعًا، بل تحولت إلى فضاء تعبيري

مكثف، يجمع بين البعد الموسيقي، والتركيب اللغوي، والدلالة النفسية، بما يجعلها خلاصة التجربة الشعرية ومركز ثقلها.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة خواتيم القصيدة الأندلسية، بوصفها عنصرًا كاشفًا عن وعي الشاعر الفني، وقدرته على التحكم في مسار النص من بدايته إلى نهايته. فاختيار الألفاظ، وتوظيف الإيقاع، وبناء الصورة، وتكثيف الدلالة في الخاتمة، كلها عناصر تسهم في تشكيل الأثر النهائي للقصيدة، وتحدد مدى نجاحها في تحقيق غاياتها التعبيرية والجمالية.

ويندرج هذا المقال في إطار قراءة فنية تحليلية تستلهم ما قدّمه ياسر رشيد البياتي في كتابه القصيدة الأندلسية في عصر الطوائف: دراسة فنية، إذ يسعى إلى إبراز القيمة الفنية لخواتيم القصائد الأندلسية، والكشف عن مستوياتها الصوتية والتركيبية والدلالية، مع ربطها بالسياق التاريخي والثقافي الذي أنتجها، بما يسهم في تعميق فهمنا لطبيعة الإبداع الشعري الأندلسي في تلك المرحلة.

الأسلوب

يتسم الأسلوب المعتمد في هذا المقال بالجمع بين اللغة التحليلية الدقيقة والطرح النقدي الهادئ، مع الحرص على الوضوح والاتزان في عرض الأفكار. وقد تم توظيف مصطلحات نقدية مستقرة في الدرس الأدبي، مع تجنب الغموض أو الإطالة غير المبررة، بما يحقق الانسجام بين الطابع الأكاديمي وسلاسة العرض. كما يعتمد المقال على التحليل النصي بوصفه أداة أساسية لفهم البنية الفنية للخاتمة، مع الاستفادة من الرؤية البلاغية والنقدية التراثية والحديثة.

المنهج

يعتمد المقال على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال وصف الظواهر الفنية المرتبطة بخواتيم القصيدة الأندلسية، ثم تحليلها على مستويات متعددة:

المستوى الصوتي: من حيث الإيقاع، والتكرار، والجرس الموسيقي.

المستوى التركيبي: من حيث بناء الجملة، وتماسك التراكيب، والانتقال الدلالي.

المستوى الدلالي: من حيث الصورة الشعرية، والرمز، والإيحاء.

كما يستأنس المقال بالمنهج التاريخي في ربط الظاهرة الشعرية بسياقها الزمني، دون أن يطغى ذلك على التحليل الفني للنصوص.

التحليل الموضوعي

ينطلق الكتاب في معالجته لخواتيم القصيدة الأندلسية في عصر الطوائف من رؤية فنية ترى الخاتمة عنصرًا بنيويًا فاعلًا، لا يقل أهمية عن المطلع أو جسم القصيدة، بل تمثل في كثير من الأحيان ذروة التعبير الشعري ونقطة التقاء المستويات الجمالية والدلالية. وقد كشف التحليل عبر فصوله المختلفة عن أن الشاعر الأندلسي لم يتعامل مع الخاتمة بوصفها فضاءً شكليًا مغلقًا، وإنما بوصفها بنية دلالية مفتوحة تُسهم في إعادة توجيه معنى القصيدة وترسيخه في وعي المتلقي.

أولًا: المستوى الصوتي

يبرز المستوى الصوتي بوصفه المدخل الأول لفهم فاعلية الخاتمة، إذ ركّزت الدراسة على الموسيقى الشعرية المتغيرة، والتكرار بنوعيه اللفظي والتركيبي، ودورهما في تكثيف الأثر الإيقاعي في خواتيم القصائد. ويتضح من الأمثلة الواردة أن التكرار لم يكن ترفًا أسلوبيًا، بل أداة دلالية تُسهم في تعميق المعنى، وتأكيد الحالة الشعورية، ولا سيما في الخواتيم ذات الطابع الانفعالي كالرثاء والحنين والمديح. كما أن اعتماد التوازي الصوتي وردّ العجز على الصدر منح الخاتمة انسجامًا موسيقيًا يجعلها أكثر رسوخًا في الذاكرة السمعية.

ثانيًا: المستوى التركيبي

أما على المستوى التركيبي، فقد كشفت الصفحات المصوّرة عن ميل شعراء عصر الطوائف إلى استخدام تراكيب لغوية محكمة في الخواتيم، تتسم بالقصر والكثافة، مع اعتماد واضح على الجمل الفعلية لما تحمله من حركة وديناميكية. وتُظهر الخاتمة في هذا السياق قدرة الشاعر على ضبط إيقاع الجملة، وتوجيه البناء النحوي لخدمة الغاية الدلالية، سواء أكانت تقريرية، أم إنشائية، أم قائمة على التوازي والمقابلة. ويُلاحظ أن التركيب في الخاتمة غالبًا ما يأتي نتيجة تراكم دلالي سابق، فيغدو أشبه بخلاصة فكرية أو شعورية للنص.

ثالثًا: المستوى الدلالي

يمثل المستوى الدلالي جوهر التحليل، حيث تتجلّى الخاتمة بوصفها نقطة تكثيف للصور الشعرية والرموز البلاغية. وقد أظهرت الدراسة حضورًا لافتًا للصورة التشبيهية والاستعارية في خواتيم القصائد، بما يعكس وعي الشاعر الأندلسي بقيمة الصورة في إيصال المعنى وإثارة الخيال. ولم تقتصر الدلالة على البعد الجمالي، بل تجاوزته إلى التعبير عن القلق الوجودي، والانكسار السياسي، والحنين المكاني، وهي سمات ارتبطت بواقع عصر الطوائف المضطرب.

كما تتسم الخاتمة في كثير من النماذج بوظيفة إيحائية مزدوجة؛ فهي تُغلق النص ظاهريًا، لكنها تفتح أفق التأويل أمام المتلقي، من خلال الإيحاء، أو المفارقة، أو الرمز، وهو ما يمنح القصيدة امتدادًا دلاليًا يتجاوز حدودها النصية.

رابعًا: الوظيفة التداولية للخاتمة

يتضح من خلال النصوص أن الخاتمة تؤدي وظيفة تواصلية مهمة، إذ تسعى إلى التأثير في المتلقي وإقناعه، سواء عبر إثارة التعاطف، أو تثبيت فكرة، أو تمجيد قيمة معينة. ويُلاحظ أن هذا البعد التداولي يتجلى بوضوح في خواتيم المديح، حيث تُستثمر الأدوات البلاغية لتكريس صورة الممدوح، وفي خواتيم الغزل التي تُوظّف الإيحاء لتكثيف العاطفة.

تكشف الدراسة، من خلال مستوياتها المتعددة، أن خواتيم القصيدة الأندلسية في عصر الطوائف ليست عنصرًا تابعًا، بل تشكّل بنية فنية ودلالية متكاملة، تُسهم في إحكام بناء القصيدة، وتعكس وعي الشاعر بجماليات الإغلاق النصي. كما تُظهر أن الشاعر الأندلسي استطاع توظيف الصوت والتركيب والدلالة في الخاتمة توظيفًا إبداعيًا، متأثرًا بخصوصية المرحلة التاريخية والثقافية، مما منح القصيدة الأندلسية فرادتها الفنية وتميزها عن غيرها من التجارب الشعرية.

الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى أن خواتيم القصيدة الأندلسية في عصر الطوائف تمثل عنصرًا بنيويًا فاعلًا في تشكيل الخطاب الشعري، وليست مجرد موضع شكلي يُستكمل به البناء العروضي للنص. فقد كشفت القراءة الفنية لمستويات الخاتمة الصوتية والتركيبية والدلالية عن وعي جمالي واضح لدى الشاعر الأندلسي بأهمية لحظة الإغلاق الشعري، بوصفها ذروة التعبير ومركز تكثيف المعنى والانفعال.

وأظهر التحليل أن الخاتمة تؤدي وظائف متعددة تتجاوز الإنهاء الزمني للنص، لتغدو أداة إقناع وتأثير وتوجيه دلالي، تسهم في ترسيخ الفكرة أو العاطفة في وعي المتلقي، مستفيدة من الموسيقى الداخلية، والتكرار، وبناء الجملة المكثف، والصورة البلاغية ذات البعد الإيحائي. كما تبين أن الشاعر في عصر الطوائف استطاع توظيف هذه الأدوات توظيفًا يتلاءم مع السياق التاريخي والنفسي الذي عاشه، فجاءت الخاتمة انعكاسًا لقلق المرحلة وتوترها، أو تعبيرًا عن الحنين والاغتراب، أو تأكيدًا لقيم الفخر والمديح.

وتؤكد نتائج الدراسة أن الخاتمة في القصيدة الأندلسية تمثل نقطة التقاء بين البنية الفنية والدلالة التداولية، إذ تنفتح على آفاق تأويلية متعددة، وتمنح النص امتدادًا يتجاوز حدوده الشكلية. ومن ثمّ، فإن دراسة الخواتيم تتيح فهماً أعمق لبنية القصيدة الأندلسية، وتكشف عن جانب مهم من براعة الشعراء في إحكام الصياغة وتوجيه الأثر الجمالي.

وبذلك، تسهم هذه الدراسة في إغناء الدرس النقدي الأندلسي، من خلال تسليط الضوء على عنصر فني ظلّ مهمشًا نسبيًا في الدراسات السابقة، وتفتح المجال أمام دراسات لاحقة تتناول خواتيم القصيدة في عصور أخرى، أو تقارن بين التجربة الأندلسية ونظيراتها في الشعر العربي القديم والحديث، بما يعزز فهمنا لتطور البنية الشعرية العربية وجمالياتها.

المصادر

1. البياتي، ياسر رشيد. القصيدة الأندلسية في عصر الطوائف: دراسة فنية. دار عدنان، عمّان، 2015 .

2. ابن بسام ،الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، 1997.

References

1. Al-Bayati, Yasser Rashid. *Andalusian Poetry in the Age of the Taifa Kingdoms: An Artistic Study*. Dar Adnan, Amman, 2015.

2. Ibn Bassam al-Shantarini. *Al-Dhakhīrah fī Maḥāsin Ahl al-Jazīrah*. Edited by Ihsan Abbas, Dar al-Thaqafa, 1997.

مجلة إكليل للدراسات الانسانية
التصنيف الورقي: العدد 25 /آذار/2026
IASJ–Iraqi Academic Scientific Journals المجلد(7)-العدد(1)-الجزء(3)

Review Article

Endings of Andalusian Poetry in the Age of the Taifa Kingdoms: An Artistic Reading of Structure and Significance

Assist Lect. Shaimaa Abdul-Baqi

College of Education for Women

University of Anbar

Shaima.a.awad@uoanbar.edu.iq

Keywords: Andalusian poetry, Age of the Taifa Kingdoms, artistic structure, aesthetic significance

Summary:

This study examines one of the fundamental structural elements of Arabic poetry and its role in consolidating the artistic coherence of the poetic text. It highlights the importance of this element in culminating meaning and intensifying the aesthetic impact on the reader. The study also refers to the interest of both classical and modern critics in the positions of beginnings and endings as criteria for evaluating the quality of poetic texts. Andalusian poetry is presented as a distinctive artistic experience that developed poetic structure and endowed it with a unique character. The paper further focuses on the Age of the Taifa Kingdoms as a period marked by political fragmentation alongside notable cultural and literary prosperity. Poetry of this era reflects psychological and aesthetic transformations through condensed language and a powerful rhythmic structure.